واختلاف الناس فيه ومن كرهه واستحسنه وماذكرت ذلك الا لاني كرهت ان يكون كتابي
هذا ابعد اشتماله على فنون الآداب والنوادر والامثال عاطلا من هذه الصناعة التي هي مراد السمع
ومرتع النفس وربيع القلب ومجال الهوى ومسلاة الكئيب وانس الوحيد وزاد الراكب لعظم موضع
الصوت من القلب واخذه بمجامع النفوس **فصل** في الصوت الحسن قال بعض اهل التفسير في قوله
تعالى يزيد في الخلق ما يشاء هو الصوت الحسن هو الصوت الحسن **وعن** النبي صلى الله عليه
وسلم انه قال اتدرون متى كان الحدا قالوا لا بابينا وامنا انت قال ان اباكم مضر خرج في مال له
فوجد غلامه وقد تفرقت ابله فضرب على يده بعصاه فمر الغلام في الوادي وهو يصيح وايداه
فسمعت الابل نداءه فعطفت عليه فقال مضر لو اشتق من الكلام مثل هذا لكان كلاما يجمع
عليه الابل فاشتق الحداء فقال النبي صلى الله عليه وسلم لابي موسى الاشعري رضي الله عنه
لما اعجبه حسن صوته لقد اوتيت من مزامير داود **وقيل** ان داود عليه السلام كان يخرج
الى الصحراء بيت المقدس يوما في الاسبوع ويجتمع الخلق فيه فيقرأ الزبور بتلك القراءة الرخيمة
وكان له جاريتان موصوفتان بالقوة وكانتا يضبطان جسده ضبطا خيفة ان تنخلع اوصاله
مما ينتحب وكانت الوحوش والطير تجتمع لاستماع قراءته **قال مالك بن دينار** بلغنا ان الله
تعالى يقيم داود عليه السلام يوم القيامة عند ساق العرش ويقول يا داود مجدني بذلك الصوت
الحسن الرخيم **وقال سلام** الحادي للمنصور وكان يضرب به المثل بجداته مرة يا امير المؤمنين
اريد ان تظمئوا الابل ثم تردوها الماء فاني آخذ في الحداء فترفع رؤسها وتترك الماء **وزعم اهل**
الطب ان الصوت الحسن يسري في البدن ويجري في العروق فيصفو له الدم وتنمو له النفس ويرتاح
له القلب وتهتز له الجوارح وتخف له الحركات وعلى هذا كره للطفل ان ينام على اثر البكاء حتى يرقص
ويضطرب **وزعمت الفلاسفة** بان النغم فضل بقي من المنطق لم يقدر اللسان على استخراجه
فاستخرجته الطبيعة بالالحان على الترجيع لا على التقطيع فلما ظهر عشقته النفس وحنت اليه
الروح الا ترى ان اهل الصناعات كلها اذا خافوا الملالة والفتور على ابدانهم ترنموا بالالحان فاستراحت
اليها انفسهم وليس من احد كائنا من كان الا وهو يطرب من صوت نفسه ويعجبه طنين
راسه ولو لم يكن من فضل الصوت الحسن الا انه ليس في الارض لذة تكتسب من مأكل ومشرب

وملبس

وملبس ونكاح وصيد الا فيه معاناة على البدن وتعب على الجوارح وقد يتوصل بالالحان
الحسان الى خيري الدنيا والآخرة **فمن ذلك** انها تبعث على مكارم الاخلاق من اصطناع
المعروف وصلة الرحم والذب عن الاعراض والتجاوز عن الذنوب وقد يبكي الرجل على
خطيئته ويتذكر نعيم الملكوت ويمثله في ضميره ولاهل الرهبان نغمات والحان شجية
يمجدون الله تعالى بها على خطاياهم ويتذكرون نعيم الآخرة **وكان ابو يوسف القاضي**
يحضر مجلس الرشيد وفيه الغنا ويجلس مكان السرور ويبكي لانه يتذكر نعيم الآخرة
وقد تحن القلوب الى حسن الصوت حتى الطائر والبهائم **وكان** صاحب الفلاحات يقول
ان النحل اطرب الحيوانات كلها على الغنا **قال الشاعر**

والطير قد يعوق للموت ۔ اصغاؤه الى حنين الصوت

وزعموا ان في البحر دوابا ربما زمرت اصواتا مطربة والحانا مستلذة تأخذ السامعين
يغشى على سامع الصوت الحسن للطافة وصوله الى الدماغ وممازجته القلب الم تر الى
الام كيف تناغي ولدها فيقبل سمعه على مناغاتها ويتلهى عن البكاء والابل تزداد في نشاطها
وقوتها بالحداء وترفع آذانها وتلتفت يمناها ويسراها اشتغل منها ما خمد وما زالت ملوك
فارس تلهي المحزون بالسماع وتعلل به المريض وتشغل به المتفكر ومنهم اخذت العرب حتى
قال ابن غيلة الشيباني ۔ وسماع لعليلنا نسمعه ۔ حتى ينام تناوم العجم
ويحكى ان البعلبكي مؤذن المنصور رجع في اذانه ليلة وجارية تصب الماء على يد المنصور
فقال هذه الجارية لك ولا تعد ترجع هذا الترجيع **وقال** عبد الرحمن بن عبد الله بن عمار في
قينة ۔ الم ترها لا ابعد الله دارها ۔ اذا رجعت في صوتها كيف تصنع
تمد نظام القول ثم ترده ۔ الى صلصل من صوتها يترجع

وبعد فهل خلق الله شيئا اوقع بالقلوب واشد اختلاسا للعقول لا سيما اذا كانت من وجه
حسن كما قال الشاعر ۔ وسماع حسن ۔ سمعته من حسن ۔ مقرب من فرح ۔ ومبعد من حزن
لا فارقاني ابدا ۔ في صحة من بدن ۔ **وبعد** وهل على الارض من جبان مستطار الفواد يغني
بقول جرير ۔ قل للجبان اذا تأخر سرجه ۔ هل انت من شرك المنية ناجي ۔ الا شاش وتجعد

Copyright © King Saud University